دفتر لْبِيرْ جْدِيدْ

أبوبكر متاقي

شعر

العثور الهين

على وجه الشبه

أَخْرَجَهَا مِنْ لَيْلِهَا

وَأَدْخَلَهَا في لَيْلِهِ.

نَقْلَةٌ نَوعيةٌ أَطاحَتْ بِالْعَقْلِ الشَّقِيِّ الْمُتَرَنِّحِ بَيْنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ مِنْ عَلْيَائِهِ وَهَيَّأَتْ لَها خُلوداً فيهِ بِالْأَلْوَانْ.

ظَلامُهَا الَّذي مِنْها يَعْتَرِضُ عَلَى الزخَّةِ الْمُضافَةِ مِنَ الظُّلْمَةِ في هَذا الْمَشْهَدِ. اللَّوْحُةُ ذَاكِرَةٌ لَا تَرْقَى لِرِفْقَةٍ في شَيْخُوخَةٍ مَرِحَةٍ. حَليفُها نَقيضُها. أَهْواؤُهُ الدّفينَةُ صَدى

أَهْوَائِها الظَّاهِرَةِ. تَذْهَبُ مِنْ يَدِها الْمِقْلاعِ الْحَصَاةُ إِلى يَدِهِ الْعُشِّ.

دومٌ نَبَتَ في السَّبْخَةِ الضَّحْلَةِ على سبيلِ النَّقاهَةِ.

وَ إِلَيْهَا

تَعُودُ

تِلْكَ الْكَلِمَةُالرمادِيةُ.

تَسْتَبْدِلُ حَرْفاً بِحَرْفٍ مرضاةً لِيَوْمٍ يَنْقَشِعُ فيهِ الْغُمُوضُ.

لَا تَتَبَيَّنُ الّذي في الزُّجاجِ،

وَجْهٌ هُمَا عَلَيْهِ كَالرَّأْفَةِ عَلَى الْوَدَاعَةِ.

ذَلِكَ الْوَجْهُ الْحَقُّ إِلَى حَدِّ الْبَاطِلِ.

بِتَمِيمَتَيْنِ

تَزْحَفُ وَرَاهَا الْحُشُودُ.

بِخَلْخَلَةٍ لِأَساوِرِهَا

يَرْتَعِدُ الْمُفْتَرِسُ.

وَكَأَنَّها لَمْ تَكُنْ سِوَى لِتُنْزِلَ الماءَ مَنْزِلَةَ الماءِ وَتُنْزِلَ الْقَهْرَ مَنْزِلَةَ الْقَهْرِ وَتُبيحَ لِلْوَهْمِ الْقَديمِ اعْتِرَاضَ الْوَهْمِ الْقادِمِ وَتُحِلَّ الصَّمْتَ على الْأَشْجَارِ وتُحَرِّمَ الصَّوْتَ عَلَى الْمَنَاشِيرِ.

مُعَلَّقٌ في جِيدِها حُلْمٌ

عَابِرَةٌ بَيْنَ جَحِيمَيْنِ.

نَوَاجِذُها الْبَيْضاءُ تَعُضُّ وَرَقَةً هِيَ صَكُّ خُروجِهَا عَلَى ذَاتِهَا.

آتٍ إِلَيْهَا الْهَوَاءُ

ذَاهِبَةٌ إِلَيْهِ.

مَخْلَبٌ

أُفْرِدَ لَهُ الْأَحْمَرُ دُونَ غَيْرِهِ يَقِفُ جائِعاً

عَلَى الْحِيَادِ.

نُزُلٌ شَتَّى

وَغُرباءٌ.

تُبَدَّدُ الْغُرْبَةُ بِقَهْقَهَتَيْنِ

صُغْرى وَكُبْرَى

وَبَيْنَهُما نَظْرَةٌ مُطَوّلَةٌ فاغِرَةُ الْفَمِ. نِسْيَانٌ كَالنِّسْيَانِ لا يَنْقُصُهُ مِنَ الْبَياضِ شِبْرٌ. أَمْتِعَةٌ فُتِّشَتْ في الشُّهودِ عَلَى سَبيلِ الْحيطَةِ وفي الْغِيابِ على سَبيلِ الطَّمَعِ. مُدْيَةٌ لِذَبْحِ الطَّيْرِ كَمَا لِفَكِّ الْقَيْدِ الْمَضْفورِ من دُومٍ وَهْمِيٍّ. تَلاءَمَ الّذي كانَ رَأْفَةً بِالّذي كَانَ قَسْوَةً وَانْشَطَرَتْ فِكْرَةٌ أُولَى إِلَى سُؤالَيْنِ:

هَلْ يَحْمِلُ هَذَا الْجَسَدُ ضَغِينَةً لِحَبْلٍ؟

هَلْ يُكِنُّ هَذَا الْحَبْلُ مَوَدَّةً لِجَسَدٍ؟

في الْبُنّي يَتَمَرَّغُ الْمَفْهومُ الْحِسيّ

مَخْنوقاً بِهِ

مَيِّتاً فِيهِ.

الشَّاهدُ مِنْ دُونِ الْأَلْوانِ

عَلَى الْمَجْدِ الزَّائِلِ،

عَلَى النَّزْوةِ الْمُعَدَّلَةِ بِعِنايَةٍ،

عَلَى الْفَوْضَى تَأْتي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بما في ذَلِكَ التَّواطُؤِ بَيْنَ الدَّالِّ وَالْمَدْلولِ.

الشّاهِدُ،

مَرْجوماً بِالْمَناديلِ

مَرْجوماً بِالْحِجارَةِ،

يَبْكِي وَيَضْحَكُ.

مَقْلوباً

كالْعَادَةِ

يَطْمَئِنُّ الْكَأْسُ إِلَى فَرَاغِهِ.

مَقْلُوبَةً تَطْمَئِنُّ الْخَابِيَةُ عَلَى نَفْسِهَا مِنَ الثّعْبَانِ.

وَالْحَبْلُ

هَذَا الْمُخيفُ بِصِفَةٍ مُنْتَحَلَةٍ.

حِصْنٌ أَخِيرٌ

آمِنٌ بِهِ فِي خَارِجِهِ.

حِصَّةٌ أَخِيرَةٌ:

خَرْسَانَةٌ مُسَلَّحَةٌ

خَرْسَانَةٌ عَزْلاءُ

قُصِّرَتْ بَيْنَهُمَا المسَافَةُ بِالشِّبْرِ النَّاعِمِ

مُدَّتْ بِالشِّبْرِ الْخَشِنِ.

مَائِلَةٌ أَعْمِدَةُ الْأَمْسِ،

لَيْتَ مُرَاقِبَةَ الْأَوْرَاشِ الْقَدِيمَةَ تَقِفُ هَاهُنَا مَائِلَةً، تَهَكُّماً وَتَوْبِيخاً،

بِقَدِّهَا الْفَارِعِ اللَّدِنِ الْفَيَّاضِ.

الْفَأْسُ

لِكُلِّ طَارِئٍ مِنْ غَيْرِ حَشْرَجَةٍ تُخْبِرُ عَنْ وُصُولِهِ.

لَايَكَادُ فَمٌ يَقْوَى عَلَى أَنْصافِ الْكَلِماتِ الْمُتَهالِكَةِ فِي الْمَطْرَحِ الْمُؤَقَّتِ

ثُمَّ

فِي أَيِّ شَيْءٍ يَخْتَلِفُ شاعِرٌ عَنْ شَاعِرٍ مِنْ جِهَةِ الْوَسَاخَةِ؟

النَّهْرُ لِلْجَمِيعِ.

يَدُ مَنْ عَلَى كَتِفِ مَنْ فِي تِلْكَ الصُورَةِ الْمُجْتَزَأَةِ؟

ما الْمَاقَبْلُ فِيها

وَمَا الْمَابَعْدُ؟

الْغِبْطَةُ تَنْدَلِعُ فِي الْآبَاطِ

تَليهَا الْقَهْقَهاتُ

تَليها الْكَلِماتُ مِنْ تُرَابٍ.

تفكيك وإلحاد

بِمِقْدارٍ لايَكفُّ عَنِ التَّفاقُمِ يَتَحَوّلُ الشَّاعِرُ مِنْ مِحْرَاثٍ إِلَى رِيشَةٍ. يَتَسَرْيَلُ قَبْلَ الْأوانِ. فَجٌّ هَذا التّينُ وَعَصِيٌّ عَلَى الديدانِ. ناضِجَةٌ تِلْكَ الفكرةُ ونهائيةٌ وعصيةٌ عَلَى التّفكيكِ.
الْوَرَمُ الصَّغيرُ مُتَقَيّحٌ في الرُّؤوسِ والكلمةُ في الْمَسْلَخِ والسياطُ تَهَيَّأُ لِلَحَفْلِ بكامل عريها. الكلمةُ وَقَدْ قُلِّدَتْ عِبَءَ الجيروفارِ أكثرُ وضوحاً في البُعْدِ منها في الْقُرْبِ.

تَدورُ دائِخَةً

وَأَخالُهَا تَتَعَبَّدُ عَلَى هَوَاهَا.

نقد الزورق الضال

عن الخلجان الآمنة

مِنْ كُوَّةٍ

أَسْتَكْثِرُ عَلَيَّ النّظرَ في السَّكينةِ الْمحصَّنَةِ

عَسَسٌ وَأَسْيِجَةٌ وَثراءٌ أَشْبَهُ بالفاحِشِ.

أَسْتَصْغِرُ شَغَفِي بِالْخَشَبِ وَالْحِبالِ.

سَبْعونَ خَليجاً في الرّوحِ،

صِفاتُهَا

في الْمَدِّ

صِفاتُهَا

في الْجَزْرِ.

أَدْنى حُروفِي إِلَيَّ

الْبَاءُ

أَقْصَاهَا الْبَاءُ.

أَسْكُنُ نَفْسِي

بِأَساساتِها الْهَشَّةِ

وَبِالسَّحَابِ الَّذِي تَنْطَحُهُ.

لَا أُبْحِرُ مُثْقَلاً بِالْفَضَائِلِ

عَنْ حَيَاةٍ

لَا أَرْسو خَفيفاً

عَلَى مَوْتٍ.

شَبيهٌ أُفُولي

بِأُفولِ الْمَعْنَى عَنِ الْأَحْمَرِ في رَحْمَةِ الْأَزْرَقِ.

شَبيهٌ اِعْتِكافِي بالْمِجْهَرِ علَى اللّوْحَةِ بِجاحِدٍ يَسْعَى
لِتَصْديقِ نُبُوَّةِ الْإِبْرَةِ في الْقِشِّ

شَبيهٌ بِنَحَّاتٍ أَبْكَمَ إِذْ أَتَعَهَّدُ الْإِسْمَ بِالنُّطْقِ

بَرْزَخٌ

اسْتَوْفَى شُرُوطَهُ.

مَفْصَلاً كَانَ،

دَارَتْ عَلَيْهِ الْأَضْدادُ يميناً

دَارَتْ عَلَيْهِ الْأَشْبَاهُ شِمالاً

غِنَاءٌ جَمَاعِيٌّ في تِلْكَ اللَّوْحَةِ

لَا يَصْعَدُ

وَلَا يَنْزِلُ

أَتْرِبَةٌ فِي الْحَنَاجِرِ

مِكْنَسَةٌ وَسِلالٌ.

تَكْعِيبْ

عَلَيْهِ تُقْفَلُ الدَّائِرَةُ

اَلْوَحِيدُ الْوَحِيدُ فِي نُورِهَا

اَلْغَرِيبُ الْغَرِيبُ عَنْهُ

نُصِبَتْ لِيَ الدَّائِرَةُ الْفَخُّ صَيْداً رَخيصاً لِلْعِبْرَةِ.

تَرَقَّقَتْ بِعَبَثِي الزَّوايَا

مضايق وجبال وسفوحٌ

كل الجغرافيات شُدَّتْ إِلَيْهَا الرِّحالُ.

الرافعة يتمٌّ معلَّبٌ

شُحْنَةُ الإِسْمَنْتِ بَصَلٌ لِلدُّموعِ

الماءُ لا شيء يقنعهُ أنّه الماءُ في الصّهريج وفي غَيْرِهِ

مزيجٌ مِنْ وُجُوهٍ مُدورةٍ أَتَنَكَّرُ بِهِ لِوَجْهٍ مُدَوّرٍ

مزيجٌ مِنء عُيونٍ أَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى عَيْنَيْنِ.

عَيْنَانِ

عَيْنَانِ

فيهما الْمُحْتَفِلُ بِغَيْرِهِ إِذْ يَكُونُ هُوَ الْغَيْرُ

أَيْنَ ذَاتُهُ

بِالّذي مِنْهَا وَبالطّارِئِ عَلَيْهَا؟

تَأْصيلٌ لِلْفجيعةِ بِالْمَفَاهِيمِ الْمُجَرّدَةِ ذَلِكَ الْبَابُ الصَّغيرُ الْغامِضُ الْمُفْضِي لِلْغُموضِ الْأَعْظَمِ.

الأسماءُ الخمسةُ

للمصدورِ

حَطَّابٌ وَخَديمُ الشَّجَرَةِ بِلا فُروعٍ وَضَيْفُ الصَّحْراءِ الطّارِئُ عَلَى عَجَلٍ ضَالَّتُهُ تجريبُ الظَّمَأِ وَحَفَّارُ الْقُبُورِ وَأَخيراً:

الْكَسيحُ الْمُسْتَنِدُ إِلَى مَعْرِفَةٍ هَشَّةٍ بِالطَّريقِ.

مَعْرِفَةٌ مُجَرَّدَةٌ تَأَلَّهَتْ بِأَسْفَلِهَا

مَعْرِفَةٌ مَلْمُوسَةٌ تَشَيْطَنَتْ بِأَعْلاهَا

كَالْمُخْتارِ مِنَ الْوَسائِدِ في الْأَعراسِ شَواهِدُ الْقُبورِ هَذِهِ اللّيونَةُ تِلْكَ الْعَتَبَةُ الْعاليةُ هَذا الْفِكْرُ في كمونِهِ وفي سُفورِهِ عُرْوَةٌ وُثْقى صورةٌ وُثقى تأويلٌ وثيقٌ بِأملٍ مائِلٍ تَمَسّكَتْ

في كُلِّ مُنْحَدَرٍ أَسْماؤُها زَمانُها مِنْ مَكانِهَا فَرْعٌ حَيٌّ قائِمٌ عَلَى غَيْرِهِ الْمَيّتِ مِنْ دُونِ حَرَجٍ

تَغَطّى صَباحُهَا

وَتَعَرّى مَساؤُهَا

مُنْهَكَةٌ فيها الطَّبيعةُ على نَحْوٍ يَنْتَهِكُ الْمُثَقَّفَ مِنْهَا. بَيْنَ نارَيْنِ هيَ الخَشَبُ سُمّيَ أَجَلُهُ بِالنّقْشِ عَلَيْهِ في جَلَبَةِ الطُّقوسِ. بَيْنَ مَاءيْنِ ثَقيلَيْنِ ماءٌ خَفيفٌ يَمْنَحُها كَرامَةَ الطَّفْوِ.

هِبَةٌ لا يُرَدُّ جميلٌ للمتبرّعِ بِهَا

لها لُطْفُ الضفّةِ

وَشراسةُ الْقاعِ.

وَقَدْ كانَ الممكنُ قَبْلَ أَنْ يكونَ الكائِنُ

سُلّمٌ مقلوبٌ صامتٌ

جدلٌ سويٌّ صاخبٌ

غِناؤُها المُصفّى تلقاءَ ذَاتِهِ في عَطالَةِ الغربالِ شأْنُهُ مِنْ شَأْنِ الحَشْرَجَاتِ

يَعْلو بِالبحّةِ النشازِ
يَنْزِلُ بِالبحةِ النشازِ.

السّاكنُ فيها مُتَحَرّكٌ في غَيْرِها

تِرْحالٌ طويلٌ وشقيٌّ في المُخْتَلِفِ مِنَ الخرائطِ وكأنَّ لا أرض لها ولا سماء عليها.

مِنْهَا
ما يصمدُ في الطّبيعةِ بالطّبيعةِ
عَلَيْهَا
ما يَتَلاشَى مِنهَا بِهَا.

وفيها أيضاً من الطبيعةِ ما يرد الفؤوسَ على أعْقابها مَثْلومَةً.

صفاتُها الخمسُ

تَلْتئِمُ بتدبيرٍ من الصّدفَةِ في مجرى الوضوحِ بين ذاتَيْهَا:
الباطنةِ والظاهرةِ

لا تُجَفِّفُ ريحٌ نداها
وَقبْلَ أَنْ تُحيلَ عَلَى الْمَرْجِعِ تُشَكِّكُ الرّاجِعَ إِلَيْهِ فِيهِ.
حَذَرٌ وَاجِبٌ موجِبٌ لِلْيقينِ في كل ما يَليهِ.
وَهُمٌ كَغَيرِهِ منَ الأوهامِ رَفَعَتْ مِنْ شَأْنِهِ الخِرَقُ الثّمينةُ.
حَبْلٌ بائِسٌ أعزلُ في وَجْهِ الرّيحِ
يَتَرَنّحُ عارياً
وحبلٌ تَقَوَّسَ من ثِقْلٍ بالفواكِهِ وفاضَ عنه الحبورُ.

قل فيه بأي النبرة شئتَ
وانظرْ إليه من حيثُ لا يُنْظرُ إليهِ.

وجهاً لِوجهٍ تنتفي كراماتُ الوجهينِ
وما مِنْ أثرٍ في عقلٍ لنظرةٍ أطالها ناظرٌ في جَسَدٍ.

طِينٌ فُتِّتَ ايغَالاً في التَّقْديسِ وَتَخْليداً لَهُ.

لَا يَسَعُ فَمٌ تَجَلٍّ لِلْغِبْطَةِ
ما لَمْ يَكُنْ شِبْهَ مَزْمومٍ
وَمِنْهُ الْحُمْرَةُ الَّتي عَلَيْهِ.

وَإِنَّها لَتَقْسُو عَلَى الْكَلِمَةِ
وَتَعْلُو بِهَا
شُعْلَةً أُعِدَّتْ لِلظُّلماتِ بِمِثْلِ مَا تُعَدُّ بِهِ الظُّلماتُ لِلشُّعْلَةِ الْمُتَراقِصَةِ.
وَلَا يَخْرُجُ الدَّاخِلُ في اسْمِهَا مِنْهُ
سُدَّتْ
عَلَيْهِ

الْمَهَارِب